اتجاهات الشباب نحو العمل وأهمية دورهم في إحداث التغيير

د. روان مليكة
جامعة لونيسي علي
البليدة 2

ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى إبراز أهمية الثقافة الشبانية، من خلال التطرق إلى "سوسيولوجيا الشبيبة" ودورها في إحداث التغيير في القيم والبنى والسلوكات، لدى الشباب، وذلك بالتطرق إلى عرض مفاهيمي عن متغيرات البحث المتمثلة في مفهوم: التغير الاجتماعي – التهميش المهني – المكانة الاجتماعية – فالعمل والعمل بشكل آخر.

ثم تطرقنا إلى الإطار النظري الذي يحيط بجملة هذه المفاهيم في رؤى وتحليلات هامة، بغرض تفسيري وتحليلي للاتجاهات المتعلقة بتمثلات الشباب للعمل.

RESUME

CETTE ETUDE VISE A SOULIGNER L'IMPORTANCE DE LA CULTURE JUVENILE A TRAVERS L'APPLICATION DE CE QU'OU APPELLE « LA SOCIOLOGIE DE LA JEUNESSE » ABORDEE PAR LE BIAIS DE CHAMPS CONCEPTUEL DE: CHANGEMENT SOCIAL, DE VALEURS AUTOUR DU TRAVAIL, DE STATUT SOCIAL ET DE TRAVAIL AUTREMENT. ENSUITE, POUR LE CADRE THEORIQUE QUI CONTOURNE LES DIFFERENTES VISIONS ET ANALYSES EN JUSTIFIANT LES TENDANCES RELATIVES AUX REPRESENTATIONS DU MONDE DU TRAVAIL CHEZ LES JEUNES.

1- مقدمة

إن عالم اليوم بما انطوى عليه من تغيرات واسعة النطاق شملت كافة مظاهر الحياة الاجتماعية، قد جعل المختصين في العلوم الاجتماعية يواجهون مهمة رئيسية ألا وهي مساعدة الشباب على اكتشاف دورهم في البيئة المحيطة بهم وأداء هذا الدور على أعلى مستوى من الكفاءة والفعالية، كما أن عليهم أيضا أن يقدموا للشباب الأسس المدروسة التي يستطيعون وفقا لها أن يتخذوا ما هو ملائم ومناسب من القرارات خلال حياتهم اليومية، وتبدو أهمية هذه المهمة وحيويتها حينما نأخذ في اعتبارنا تلك الديناميكية الاجتماعية الهائلة التي يستهدفها المجتمع المعاصر والتي تتمثل في عمق التغير التاريخي وزيادة تعقد الحياة الاجتماعية بتنوع الظواهر التي نتعامل معها يوميا، وتباين العلاقات التي تنشأ بين الناس، هذا فضلا عن شدة تقسيم العمل والتباين الوظيفي في كافة مجلات الحياة الاجتماعية.

لقد اهتم (F. DUBET) بالعناصر المفسرة "للتهميش الجديد" للشباب، فكانت بذلك دراسته من النوع الذي يعني "بالتغير الاجتماعي" وطريقة جديدة في تناول الحركات الاجتماعية ويقترح هذا الباحث لفهم التحولات الطارئة (في مثاله الخاص بالمجتمع الفرنسي) بالمجتمع أن نلم بالدراسة الكلية مجموع الأفراد المهمشين(DUBET (F), 1981, P22). ويقدم في ذلك هندسة تاريخية لتاريخ السلوكات والتصرفات الهامشية للشباب من الميلاد إلى الدخول في المجتمع ومنه إلى زواله، أو ما يعرف بالدخول أو المرور من مجتمع "صناعي" إلى مجتمع "ما بعد الصناعي"، وهي نتائج توصل إليها الباحث من جراء بحث قام به حول "العمال الشباب" وعمال في تجمعات سكانية معايشة كبرى (CEUX DE LA GALERE) أي أنه يقارن بين مجتمع منظم حول الصناعة وحول قيمها ومجتمع لا يتمتع بذلك.

2- الشباب والتهميش

ما يقصد به الباحث هنا "LES JEUNES DE LA GALERE" هو:

-غياب أو عدم القدرة على تحديد مرجعية الوعي العمالي.

-مجتمعية الشباب لا تكون عل أساس العمل الصناعي.

-رفض المكانة "العمالية" بسبب عجز العمال القدامى على إعطاء صورة إجابية عن العمل وعن النضال العمالي والوعي العمالي.

-تطور بعض النشاطات والميول، والتي لا تكون بالضرورة مرهونة بالعمل المؤجر (كالرقص، الموسيقى، الرياضة، النحت، الرسم...) وما يمكن أن يحمله من قيم ومعايير، فهذه الميول تشكل محور اهتمامات الشباب.

-عدم قبول ما تقدمه الحركة العمالية والمجتمع الصناعي عن المستقبل.

- تحولات في أنماط الحياة

-إن التحولات والتغيرات بين الأجيال يمكن أن تظهر في:

1. تطور نسبة الأزواج المشتغلين.
2. انخفاض عدد الأسر الكبيرة وظهور نمط الأسرة النووية.
3. طموحات الشباب ونظرتهم للبناء الاجتماعي العائلي:

-فالعاملين منهم يطمحون إلى أجرة كبيرة وبلوغ منصب أعلى.

-كما أن الشباب الناشط يولي أهمية قصوى لاعتبارات أخرى كالمال والسفر وغيرها من الأمور التي تحتل مكانة عالية في حياتهم.

–لكن إذا اعتبرنا أن الشباب كقوة عمل لها خصوصياتها ومميزاتها، لها طموحاتها وتطلعاتها، لها تمثلاتها وأبعادها، كيف تكون نظرتهم للعمل أو للحركة العمالية؟

يقول (ALAIN TOURAINE) في مرجع مشترك، بأنه لا يمكن أن نفسر هذا التحول في المواقف والأفعال إلا بالرجوع إلى الحركة العمالية، ولهذا نجدهم يقترحون لدراستها النقاط الآتية:

1. عرض لمختلف التأويلات حول السلوكات العمالية والنقابية.
2. انتقادات موجهة لهذه الأخيرة.
3. وتتعرض أطروحة المؤلف أساسا إلى:

- النقابة كحركة عمالية.
- الضمير المهني كقاعدة للحركة العمالية.
- أزمة الحركة العمالية: عوامل تفسيرية.

- التأويلات المختلفة للسلوكات العمالية

حسب A. TOURAINE هناك "03" أنواع من التأويلات يمكن تقديمها في إطار التحليل السوسيولوجي، وهي:

ا- الأول: يعود إلى فلسفة تاريخية.

ب- الثاني: إلى خصوصية ثقافية.

ج- الثالث: يعود إلى محددات الرضى في العمل.

ا- عن الفلسفة التاريخية

وتعني نوع من الإدراك الذي يركز أساسا على المهمة التاريخية للبروليتاريا، وتشير بأن العمال يعيشون نوع من الاغتراب ولا يمكنهم الخروج منه غلا بحركة ثورية يمكن أن نقلب الأوضاع وتغيرها.

ب- عن الميزة أو الخصوصية الثقافية

ويوصف في هذا الجانب الثقافة العمالية والتي تدافع عن المجتمع العمالي، وهي تشكل قاعدة عمل جماعية، وبهذا يعمل العمال على تقليص المسافة بينهم وبين المسيرين.

ج- عن محددات الرضى في العمل

هذا التأويل الثالث يركز على المواقف في العمل – على طلبات العمال وعلى شروط التعبئة العمالية أي بمعنى الشروط المهنية والثقافية للتنظيم لحركة جماعية.

ولقد وجه A. TOURAINE مجموعة الانتقادات نذكرها فيما يلي:

-يرى بأن الذين يركزون على المهمة التاريخية للبروليتاريا، فإن معظم الدراسات تؤركد على خلاصة أساسية تتمثل في ضعف الطبقة العمالية، فهناك خلط بين ضمير أو وعي طبقي ومهمة تاريخية للبروليتاريا المنظم نقابيا وسياسيا، ويؤكد بأن الطبقة العمالية ليست بطبقة ثورية.

-أما الذين يفضلون ويؤكدون على أهمية الثقافة – العمالية، فإنهم يهدفون إلى إظهار عجز وعدم قدرة الفئات ذات المكانة الدنيا، وذلك للتخلص من كل نوع أو شكل من أشكال الوعي أو تحرك طبقي معين(TOURAINE (A), 1984, P160).

-وأما الذين يركزون على المواقف والسلوكات في العمل كقاعدة لحركة جماعية (أي حركة عمالية) فإنهم يضعون العمال في مواقف وأوضاع يعتقد بأنها محدودة بذاتها.

-لكن كيف نستغل أطروحة (A. TOURAINE) في إبراز الأهمية القيمة للعمل؟

-إن دراسة متمتعة ومدققة لكتابه الذي يتمحور حول الطبقة العمالية والحركة النقابية، يبرز بأن "تدهور النقابة كحركة اجتماعية يؤدي بالضرورة إلى تدهور الحركة العمالية"، وذلك من خلال طرحه لتساؤل جوهري، وهو: "في أية حالة وبأية وسيلة تأخذ الحركة النقابية شكلها الذي يتجاوز دائرة الطلبات والمشاورات أو المفاوضات لتنادي بإعادة النظر في التسيير الاجتماعي للصناعة، حتى تصبح تشكل حركة اجتماعية ذات أهمية قصوى في المجتمع الصناعي2.

-وفي خضم دراستنا نحن تطرقنا من خلال اعتبارات قيمية لهذا الإشكال حين تساءلنا عن سبب زوال أو انهدار قيمة العمل المؤجر، وإدراكا منا بعمق وشدة العلاقة بين الظاهرتين، حيث أن هذا الأخير (تدهور قيمة العمل المؤجر) ما هو إلا تعبيرا عن زوال أو تراجع للوعي الطبقي، والذي أرجعه المؤلف إلى ضعف الحركة النقابية، ومن المحتمل أيضا أن يكون لهذا العامل أيضا نفس الدلالة في المجتمع الجزائري، إلا أن هذا الجانب قد يشكل موضوعا في حد ذاته، قد يجد تأكيده أو نفيه في حقل التطبيق، وهو جانب آخر لدراستنا لا نلمه هنا.

ولكن نحيط بالذكر إلى أن المؤلف لما تناول الحركة النقابية أشار أو اقترح نموذجا تحليليا لها، حدده في مدلولين(DUBET (F), 1981, P22): الدفاع الجمعوي والثورة البروليتاريا.

وحين خلص (A. TOURAINE) إلى وجود نوع من التراجع لوعي الطبقة العمالية أراد أن يفسر ذلك بإرجاع الظاهرة إلى سببين لا ثالث لهما: تطور سوق العمل والتحولات التكنولوجية أو ما يسميه ب"النظام الصناعي الجديد".

1. **سوق العمل**: الذي يتدهور بنيته وانهيارها يؤدي إلى بروز وجهين: من جهة العمال المحميون من خلال مكانتهم (انتماؤهم المهني)، ومن جهة أخرى العمال "خارج المكانة (HOS

STATUS). فهذه القوالب أو الأشكال القانونية تدفع – حسب المؤلف – إلى تهميش "بعض العمال، فالحركة العمالية تميل إلى فقدان قدرتها على تحمل مسؤولية الأفراد الذين طردوا إلى هامش أو حافة سوق العمل.

2. **النظام الصناعي الجديد**: وفيه يكون العامل (الموظف) كأجنبي (أي غريب) المؤسسة وعن الصراعات التي تجري وتحدث بها، بحيث لا يعترف بما يقدمه وعي الطبقة العمالية والتي تقوم على ثقافة صناعية تكون بمثابة النظام المرجعي لكل العمال، والصراع الناتج ما هو إلا صراع القيم الصناعية التي تحدثها التحولات والتقلبات التي يعرفها المجتمع الصناعي.

ويشير الباحث إلى أنه إزاء هذه التحولات تظهر تجمعات وحركات أخرى تنادي بقيم مغايرة للقيم التي كانت تنادي بها الأولى (انهيار صورة النقابة وصورة العامل التي سادت فترة السبعينات بالمجتمع الصناعي) وهذا كله امتداد لظهور ما يعرف ب"المجتمع ما بعد – الصناعي" وزوال القيم الخاصة بالعمل وبمجال العمل هو زوال للعامل الكفؤ المتشبع بالعادات النقابية والتمتع بالأخلاق المهنية وهذا يعني بروز أشكال جديدة في تسيير قوة العمل.

عند هذا المستوى نتساءل فإننا نتساءل كيف يمكن لمجتمع لا يزال يعاني التخلف والفقر أن يصمد أمام التحولات والصراعات التي تحدث به خاصة إذا اشتدت الأزمة وظهرت تشكلات أخرى من التجمع الاجتماعي/ الاقتصادي، تشكلات ذات أبعاد قيمية وثقافية تتماشى والأوضاع السائدة بهدا المجتمع؟

واستنادا على ما جاءت به أطروحة (A. TOURAINE) يمكن أن تضفى على دراستنا جوانب هامة من الاهتمامات، قد تكون مفاتيح بحث لدراسات لاحقة، ترى في أطروحة هذا الباحث نموذجا أو حقلا خصبا للتفكير والطرح والتفسير، وإسهاما منا في هذا المجال توصلنا إلى هذا الطرح المتمثل في الرسم البياني للحركة العمالية وللوعي الذي تتضمنه وذلك على النحو الآتي:

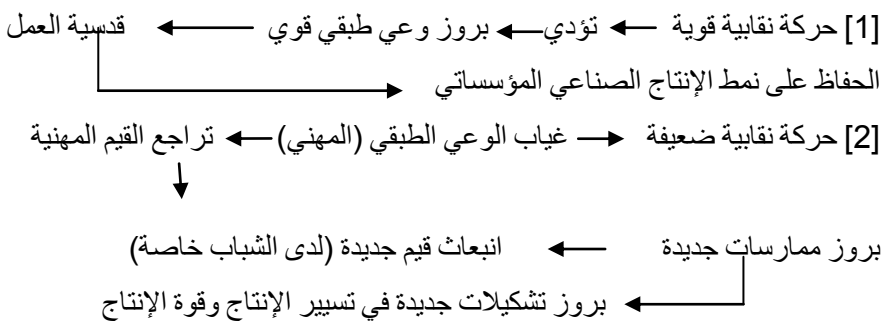

3- الشباب أمام العمل موقف واتجاه

هناك العديد من البحوث التي تناولت موضوع "الشباب والعمل"(*) من زوايا عديدة ومتباينة، ويمكن أن نلخص أهم ما ورد فيها من خلال الوقوف على فترتين أو حقبتين تاريخيتين هما:

- فترة تمتد من 1968 إلى 1975: وهي ما يعرف ب"فترة الرفض".
- وفترة تمتد من 1975 إلى الثمانينات: وهي تمثل فترة "العمل بشكل آخر".

والأطروحتان تؤكدان على حقيقة واحدة وهي وجود أو ميلاد علاقة عمل من نوع جديد لتتعمم لدى بعض الفئات لاسيما الشباب منها، والسؤال الجوهري الذي تطرحه استنادا على هاتين الأطروحتين هوك هل هناك رفض، أو معارضة أو حساسية أو لامبالاة من قبل الشباب تجاه العمل؟

تقول أن المناصرين أو المؤيدين لهذه الأطروحة يؤكدون على وجود نوع من اللاقبول في أداء المهام...، فالشباب يرفض أن يحول إلى مجرد قوة عمل، يرفض محتوى وشروط العمل وكذا الالتزامات الصارمة سيما إذا غابت الحوافز الحقيقية لأداء عمل كامل وجاد، وكذا قلة أو انعدام الآفاق الإيجابية في معالم الشغل: كالترقيات والعلاوات.

أما الأطروحة الثانية، فإنها تعني ب"اللياقة" في العمل، عن الضمير المهني، عن احترام وسيلة العمل وعن حب العمل، ودليلهم في ذلك: تعبئة بعض المؤجرين للحفاظ على الشغل وعن القيم الخاصة به.

الأطروحة الأولى: عن فترة رفض العمل

تعتمد هذه الأطروحة على ملاحظة بعض السلوكات والممارسات كالإضرابات العمالية الخارجة عن النقابة العمالية، التغيب (الصور المعبرة عن رفض العمل في المجتمع الفرنسي (ماي 1968).

ما يميز هذه الاطروحة في تلك الفترة، هو أن الشباب يتميزون عن "الكبار" بموقفهم السلبي اتجاه العمل، وأحداث 1968: تعني نظرة إرجاعية جذرية للعمل، فتعاليم العمل، قيم العمل، أي أخلاق العمل والضمير المهني، كلها قيم ومعايير لم تعد تعني بشيء عند الشباب.

فهناك في تلك الفترة نوع من اللاستثمار، من الرفض، وعدم الإقبال...، وكل المرادفات المعبرة عن نوع العلاقة الجديدة للعمل لدى الشباب، فيصبح العمل مجرد وسيلة لكسب الوقت أو للعيش لا أكثر ولا أقل، والعمل لم يعد له قيمته"(DUBET (F), 1981, P22).

فالتحول إذن حسب أنصار هذه الفكرة يكمن في انهيار "قيمة العمل"، فالشباب في أغلبيتهم لهم علاقة استعمال بالعمل، وتكوينهم الاجتماعي يكون أساسا خارج مجال العمل" ,(TOURAINE (A) (..1984, P160)

"فيكونون بذلك قد دخلوا في تعارض مع المعايير السائدة، خاصة تلك المتمركزة حول العمل والاستهلاك(TOURAINE (A), 1984, P170)، فهذا التعارض قائم بين الشباب: فهم لا يتماثلون ولا يشركون في شيء لا من حيث الطبقة ولا من حيث المصالح والأهداف ولا من حيث الظروف المعاشية، لكنهم يشتركون ويلتقون من حيث الطموحات.

وفي هذه الأطروحة نستخلص نموذجين لتفسير وتأويل رفض العمل:

ا- النموذج الأول: ويعبر عن عدم الرغبة وكره العمل وهو دليل أو صورة لتقييم مفرط للوقت الحر.

ب- النموذج الثاني: يجد في عدم الرغبة تعبيرا عن رد فعل هروبي أمام شروط ومحتوى عمل غير محتملة.

ا- النموذج الأول: "كره العمل كعرض من أعراض التقييم المفرط للوقت الحر".

إن هذا الموقف الخاص "بكره العمل" والاشمئزاز منه يتناول ويعالج كنتيجة لتغيير أو تحول سوسيو-ثقافي مرتبط بتطور اقتصادي للمجتمع(DUBET (F), 1981, P22)، وبهذا المدلول يبدو "العامل": الذي لا يعتبر نفسه كعامل بحق وإنما كمستهلك للترف وللمواد، أي أن القيم الخاصة بالعمل: كالضمير، الوعي، الحب والفاني في العمل وغيرها، لا علاقة لها بنوع الفرد، إذن كيف نصف ذلك الفرد وما هي محدداته؟ كيف تكون علاقته بالعمل؟ هذا الفرد يبني كل تطلعاته وكل طموحاته في جانب الترف، ولا يجد في العمل سوى وسيلة لكسب المال الضروري لتحقيقها2".

كره العمل هو دليل أو علامة عن فقدان الأهمية نحو العمل، هدا الأخير الذي يظهر كضغط او قيد يحد من حرية الفرد، وهو ما يعكسه معدلات التغيب، فنظرة هؤلاء للعمل وطريقتهم في التعايش معه تبرز بوضوح أن هناك: "توجه أداتي (INSTRUMENTALE) يقود هذا الفرد ويحدد نمط تكيفه مع العمل"(TOURAINE (A), 1984, P170).

إن ما يهم هؤلاء الأفراد بالدرجة الأولى هو تحقيق رغباتهم، والتعايش مع العمل ينشأ وفقا لتطور حجم هذه الرغبات والاستهلاكات، وبالتالي هذا الموقف (كره العمل) أصبح "كنمط تعديلي يتبناه الأفراد الدين يرفضون أن يمنعهم عالم الشغل من التمتع بما يعتبرونه هدف أو غاية لدى كل مجتمع يتميز بالرفاهية: دعائم الاستمتاع بوقت الفراغ، التسلية والاستهلاك".

ب- النموذج الثاني: "كره العمل كرد فعل هروبي أمام محتوى وظروف عمل غير مطلقة".

فالكره هنا، ناجم عن ما تفرضه الشروط أو الظروف الموضوعية للإنتاج وخاصة عن عمق البعد أو الفرق بين ما يحمله الأفراد من طموحات وما يسمون إليه من تطلعات وبين شروط ممارسة النشاط المهني، ولتدعيم هذا الرأي (أو الأطروحة) يقدم أنصارها ثلاثة (03) ظواهر وهي(DUBET (F), 1981, P22):

1. انهيار أو تدهور شروط العمل وافتقار محتواه ناجم عن السير العام لفقدان الكفاءة لمعظم قوى العمل.

2. الارتفاع العام لمستوى تطلعات الأفراد المرتبطة بامتداد فترة الدراسة وبدور وسائل الإعلام.

3. امتداد وانتشار نظام المساعدة والضمانات الاجتماعية التي تجعل "اللا اهتمام" (الكره) غير معاقب قانونيا.

4. الشباب والعمل

تعد أطروحة (JEAN ROUSSELET) وهو مستشار بيداغوجي وطبيب من أفضل وأهم ما قدم في مجال دراسة "الشباب ومواقفهم تجاه العمل" ولهذا نقترح عرض أهم ما ورد فيها: فقد تعرض إلى إيديولوجية العمل وأسطورة النجاح السوسيو-الاقتصادي الفردي من خلال النشاط المهني، والتي صارت في الأوقات الراهنة تمثل مجال نقد وجدال لفقدانها مصداقيتها.

حسب المؤلف الشباب قد ثاروا وظهرت هذه الثورة في شكل "معارضة" للعمل وللمجتمع ككل، ويبرز ذلك من خلال طرحه للسؤال التالي: "ما هو الشيء المعارض أو المرفوض في العمل؟ ليجيب بقوله: "ما هو معارض ليس هو العمل في حد ذاته وإنما الإيديولوجية التي تتضمنه") ..TOURAINE (A), 1984, P160)

وعليه يبدو أن الأسطورة أو "الأساطير المتعلقة بالنجاح السوسيو-اقتصادي الذي يحققه الفرد "بواسطة العمل، وكذا الانفراج الفردي للنشاط من خلال الاندماج الكلي في النسق المهني، صارت أمورا يرفضها الشاب، فهم يرون بأن: "العمل ليس هو الوسيلة الوحيدة للنجاح (...)، فينتج انهم يرفضون تحديد أنفسهم ومكانتهم من خلاله(DUBET (F), 1981, P22) .

أي أن هناك نوع من التقييم المفرط للمال وبالمقابل حدوث نوع من الانهيار في قيمة العمل، حيث أن النجاح صار يقاس بمقدار نقدي، فيصل المؤلف إلى اعتبار العمل حسب الاعتبار الشباني على أنه:

-"لا يمثل واجب أخلاقي واجتماعي".

-"ليس بعامل إكمالي".

-"لا يعد وسيلة للنجاح".

وبهذا يصرح المؤلف عن "كره" الشباب للعمل بملء العبارة الآتية: "كثير من الشباب لا يعتبر العمل كشغل قادر على استيعاب كل اهتمامات الفرد، فهو مجرد شكل من أشكال الحياة2.

ولتدعيم تحليله يقد 04 دعائم، هي:

1. النظام التعليمي للشباب.
2. تطور ذهنية "الإعالة" لدى الشباب.
3. تردي وانحطاط الصورة الأبوية لديهم.
4. المناصب المقترحة تلزم الخضوع واللامسؤولية وكذا الآلية في التنفيذ.

ويمكن الوقوف عند كل تفسير من التفسيرات الأربعة لنرى أهمية كل منها:

التفسير الأول: نظام تعليم الشباب

-يتبنى الشباب نوع من التعلم "فقدان الهمة"، كيف يحدث هذا؟

-يصبح الشباب مستقلون عن النماذج التي يسير وفقها الكبار (أي النماذج الأولية).

من جراء نمو طموحاتهم وارتقاء تطلعاتهم، ويكون هذا على حساب "الفرص الحقيقة للتطور والارتقاء الثقافي والاجتماعية"، فتصبح المدرسة أو تتحول إلى مجال إعادة إنتاج الفوارق (التلاتساوي) الاجتماعي، عندئذ يكتسب "طبيعة" أو سلوك مطبوع بفقدان الشجاعة، باعتبار أن المجتمع لا يضمن الفرص، حيث يقدم أهدافا وغايات لا يبلغها إلا عدد محدود، فينجم القلق وفقدان الهمة"(DUBET (F), 1981, P22).

التفسير الثاني: شبيبة معالة

-ذهنية "الإعالة" هذه التي تتطور لدى الشباب والتي لا يمكنهم التخلص منها، تؤثر مباشرة على تصورهم للعمل، فهو عند تعهده أو ارتباطه بالحياة العملية، تؤدي تلك الذهنية إلى: "رفض دمج العمل بالوجود الحقيقي"(TOURAINE (A), 1984, P160).

-هذا بالإضافة إلى عدم وضوح مكانة ودور الشباب في المجتمع، الشيء الذي أدى إلى فقدانهم كل ما يجب الالتزام به والوثوق به.

-ومثل هذا الخلط في الاعتبارات والمعايير والدعائم التي يمجدها المجتمع بخلق نوعا من النسبية في القيم المرتبطة بكل وظيفة وبكل مسؤولية فاحتباسهم في مجال حياتي "هامشي" لمدة طويلة، أين ينمون عادة سلوكية تتجه نحو المطالبة بالحقوق دون غيرها، فينبعث بذلك موقف يبرر حالة الإعالة لدى الشباب.

التفسير الثالث: انهدار الصورة الأبوية بالأسرة، وبصورة عامة صورة الرجولة بالمجتمع ككل"

التفسير الرابع: حول شروط العمل

في السابق، كان الشاب يعمل على أن يطابق – منذ صغره – نفسه إلى مهنة والده، فتعلم الحياة بالنسبة إليه تكون مرادفة لتعلم مهنة أبيه، فالمهنة أو الحرفة كانت تنقل ث بين أجيال العائلة الواحدة، إلا أنه، بعد الثورة الصناعية، بدأت الصورة الأبوية تنحط لتحل محلها السلطة الأموية، بحيث "بقدر ما تعوض أو تأخذ السلطة الأمومية مكانة السلطة الأبوية، بقدر ما تتوجه اهتمامات الشباب نحو النشاطات خارج المهنة (EXTRA-PROFESSIONNELLE) اكثر منها نحو العمل(DUBET (F), 1981, P22).

هنا يتساءل المؤلف والباحث حول طبيعة المناصب والعروض المقترحة على الشباب، حيث يستخلص أن معظم المناصب لا تفرض مستوى الامتثال إلى الأوامر والخضوع لها، دون لزومية الشعور بالمسؤولية، نتيجة انتشار نوع من الآلية في الحركة والنشاط والأداء.

أما المناصب التي تقدم فيها بالغ الأولوية للإبداع، للاستقلالية، ولاتخاذ القرارات، فقد تقلص عددها، "فالعمال، والعمال المختصين، والموظفين بمناصب غير مؤهلة ترتفع نسبتهم بموازاة لارتفاع معدل التصنيع والتوسع"(TOURAINE (A), 1984, P160)، بمعنى أن العمل المجزأ والمتكرر وهو ما يعرف بالعمل المشتت وهو المسؤول عن موقف الشباب تجاه العمل.

5- مكانة الشباب ومسألة الشغل

يرى (F. PIOLET) سلسلة من التفسيرات والتأويلات لقضية ضجر وقلق الشباب من مسألة الشغل، ويحدد هذا القلق في مستويين: الأول خاص بإعادة إدماجهم في الحياة العملية والثاني، ينجم عن الأول ويقوم على إدماجهم في المجتمع ككل(TOURAINE (A), 1984, P170).

فنستخلص:

- وجود التباس في مكانة الشبيبة.
- وجود بعد أو فارق بين مختلف الأنظمة المؤسساتية فالمدرسة، الأسرة، المصنع).
- وجود بعد أو فارق هام بين مستوى تكوين المجتمع الناشط ومستوى تكوين الشباب (قضية الاندماج الاجتماعي المهني).
- رفض الرابط بين المكانة الاجتماعية والمكانة المهنية.

هناك فئة عمالية تخضع للقوانين النقابية، وهناك فئة هامة (كميا) مهمشة أو هامشية عن الحركة النقابية، فالرفع من قيمة الوظائف الصغرى والبسيطة المستقلة، وكذا من أهمية وفعالية التكوين

المدرسي والمهني، والبعث بأسباب ودوافع الرغبة في العمل تؤدي إلى الحد من قوة الاتجاه نحو رفض العملن إلا أن هذه الأطروحة لا تجد تأكيدا واضحا ونهائيا لها.

بينما هناك أطروحة أخرى لرفض العمل تجمع بين "التخريب والسن"، ومؤداها أن "الشباب مخربون والكبار ليسوا كذلك، بينما يذكر (DUBOIS) نقيض هذه الأطروحة وهي لكل من (L HETH) و(MAKO C) حيث يتناولان بالدراسة مؤسسة مخربة وقد استخلص المؤلف منها ما يلي(DUBET (F), 1981, P22):

-أن التعطيل يحدث دوريا بالمؤسسة.

-كبار السن يعطلون العمل عندما تنخفض الأجور، وهم يعطلون العمل حتى يجبروا الإدارة على مراجعة معدلات الأجور والرفع من مستواها.

-الشباب لا يعطلون العمل، فهم ينتجون أكثر من أي فترة لأنهم يحاولون تعويض الخسارة الأجرية المفروضة من قبل الإدارة.

▪ العمل بطريقة أخرى

من خلال هذه الأطروحة نبين بأن العمل لا يمثل سوى أجرة أو دخل محدود والشباب يستثمر طاقاته وإمكانياته في مجال آخر، لكن هذا لا يعني بأن علاقة الشباب بالعمل هي علاقة سلبية، بدليل أنهم يطمحون إلى حياة أفضل ومستقبل مهني أضمن، المسألة كلها تتلخص في مدلول واحد وأكيد وهوك أن المصنع أو المؤسسة لم تعد تستقطب الفرد كما كانت في السابق، والقيم التي تنادي بها وتمجدها الطبقات العمالية المتتالية على مراكز العمل (الرسمية)، لم تعد هي القيم السائدة والمهنية لدى أجيال الشباب، فالأمر يتعلق وبصورة أكيدة برغبة في العمل بصورة أخرى تكون بمثابة الإجابة الفورية والملائمة لتغيرات طرأت على الوضع الاجتماعي والاقتصادي العام ولتطور طموحات وتطلعات الشباب.

وتضيف الباحثة بأن هذا الاتجاه ليس جديدا في تاريخ العلاقات المهنية وذلك استنادا إلى البحوثات التي أجريت في المجال المهني حيث أن: "عدم الرغبة في العمل والمرادف للمطالبة بالوقت الحر، كانت في كل الآجال والأزمنة متعلقة بالأجرة، (....) وهذا الضجر واللارغبة قد تغيرت حسب العهود، وذلك لتغير قوة الحركات العمالية والضغوطات الممارسة على سوق العمل"(LINHART (D), 1988; P178).

6- الشباب ومقاومة العمل

في مقال حول "المعاش في العمل عند الشباب" لـ ((O GALLAND) يحاول المفكر أو المؤلف تنظيم النقاش حول "رفض العمل" وتحليله بالانطلاق من نقد هذا المفهوم، حيث يرى أن هناك فهم خاطئ لمحتوى الكلمة، وبالتالي "ما يرفضه الشباب ليس هو العمل في حد ذاته بل ما يمكن أن يمثله محتواه"(LINHART (D), 1978, PP312-314).

ويرى صاحب المقال بأن هذا المفهوم يخفي وراءه كل أشكال المقاومة للعمل والتي يعرفها على أنها: "مجموع السلوكات التي ترمي إلى الحفاظ على نزاهة وسلامة الفرد من هجومات التي تلحقه في النشاطات المهنية، وما يترتب عن ذلك هو المقاومة، وبالتالي يرفض أن يحول إلى مجرد قوة عمل"(LINHART (D), 1978, PP312-314) .

وعليه الرفض يكون خاص بالنظرة وبالاعتبار المخصص له، حيث ينظر إليه على أنه مجرد جزء بسيط في عملية إنتاج معقدة.

ومن خلال البحوث المجرات مع العمال الشباب، يؤكد الباحث بأن هؤلاء معرضون إلى ممارسة حرف وشغل مناصب غير كفأة، ذات احتمال ضعيف للارتقاء دون الشعور بمشاركتهم الفعلية في عملية الإنتاج، "وعندها يكون فقدان لمعنى العمل ولكل شرعية فيه"، كما يؤكده الباحث(LINHART (D), 1978, PP312-314).

كما أن هناك تساؤلات عدة يطرحها المؤلف حول مكونات المقاومة في العمل والأشكال التي تتخذها، ولعلى أهم وأولى هذه المكونات تلك الخاصة بالاحتباس الجسمي بداخل حيز مكاني ومجالي، تليها مباشرة المكونة التي تخص العلاقات النظامية التسلسلية.

6-1- مقاومة الاحتباس

يحاول الشباب دوما الهروب والتحدي للنظام الجاري (الأجري) الذي يجدون به تقليصا لنشاطهم وتجميدا لحركاتهم وحجزا لاستقلاليتهم في تمييز وتنظيم أوقاتهم، ويذكر الباحث نوعان أو شكلان من محاولات التحدي والمقاومة وهما(DUBET (F), 1981, P22):

1. الحفاظ على وقت قصير بدون ضغط داخل العمال.
2. تقليص ساعات العمل، إما بالتغيب أو بالحركة وإما بامتداد فترة البطالة.

وهذان الشكلان يهدفان أساسا إلى "إمداد الوقت والمجال غير الإنتاجي" ,TOURAINE (A), 1984) .P160)

2-6- مقاومة السلطة

من خلال معايشة الشباب ورصد سلوكاتهم وانطباعاتهم تجاه بعض المواقف، استخلص (O GALLAND) وغيره من الباحثين في هذا المجال أمثال (C GUERIN) و(MERIE V) في مقالة بعنوان "خيبة أمل أكثر من حساسية" : بأن الشباب يرفضون الامتثال والخضوع إلى أي نوع من السلطة والنفوذ، سيما وإن كانت تمارس عليهم بدون مبرر حازم وسبب نافع وتفتقد إلى كل المبررات والدوافع المهنية، فتسقط على الشباب كنوع من الهيمنة والإسناد، فيرفضون ان "يذوبوا" في العمل وأمام صاحبه (صاحب المؤسسة: حالة القطاع الخاص) وتحل بذلك علاقة "المجابهة" محل "العلاقة المهنية" التي من المفروض أن تتميز بالتوافق والامتثال للقوانين الداخلية والتعاليم العامة.

خاتمة

إن هذين الشكلين في مقاومة العمل من قبل الشباب (الشعور بالاحتباس والحد من الحرية وكذا رفض الهيمنة والخضوع للسلطة) يمكن حصرهما بالقول بأن: "هذه السلوكات التي تبدو غير عقلية وغير معللة تمثل "قطعية" مع اقتصاد العلاقات الاجتماعية وحصرها في الثلاثية الآتية: [ضغط – مفاوضة – اقتناء] (....)، وهي ترمي إلى الحصول على شيء معين، أو شيء خارج السلوك العام، فهذه السلوكات تتحدد إذن في مقاومة سلمية، وفي الحفاظ على الذات بالاقتصاد في الالتزامات والتعهدات.

وعليه نستخلص أن هناك أطروحتان حول علاقة الشباب بالعمل، بمعنى أن هناك محاولتان لتفسير وتأويل أزمة المجتمع من خلال هذه العلاقة بإرجاعها (الازمة) إلى المجالات الاقتصادية والاجتماعية خيث كان منشأها.

فلما نقول بأن الإشكال يتوضع على الناحية الاجتماعية، فإننا نكون قد سلمنا بوجود "أزمة المتجمع" ونعني بذلك وجود حركة تتضمن صراعا على حد ما جاء به الإنتاج الفكري الماركسي – والذي يتخذ عادة شكل المعارضة التامة للنظام القيمي السائد، وهي أزمة تمس كل مجالات وقطاعات المجتمع "أزمة أسس وقيم أساسية للثقافة الصناعية، ليس فقط لقيمها وإنما كذلك في تحديداتها للمستقبل.

وفي ظل هذه الحركة تبرز قيم جديدة يرفع بها الشباب وينادى بها، باعتباره أكثر الفئات رغبة في التجديد وتطلعا إلى تقبل الحديث من الأفكار والتجارب والتوجه نحو تبني قيم جديدة وابعاد مستحدثة تتماشى ومتطلبات الوضع، فيكون عندئذ هذا التجاوز للمرحلة التقليدية من التشكل

الاجتماعي والاقتصادي والثقافي من قبل الشباب بمثابة ما يعرفه "A. TOURAINE" بالمرحلة "ما بعد التصنيع".

لكن مهما اختلفت التسميات وتباينت الظروف والأزمنة، فإن الحدث واحد، ويتمثل في بروز تطلعات جديدة لدى الشباب.

BIBLIOGRAPHIE:

1- DUBET (F): LA GALERE: JEUNES EN SURVIE ED CALMAN, LEVY PARIS, FRANCE, 1981, P22.

2- TOURAINE (A) ET AL: LE MOUVEMENT OUVRIER. ED: LE SEUIL, PARIS, FRANCE, 1984, P160.

3- LINHART (D): POUR UNE PROSPECTIVE DU TRAVAIL, IN REVUE SOCIOLOGIE DU TRAVAIL, N°2, 1988; P178.

4-LINHART (D): QUELQUES REFLEXIONS A PROPOS DU REFUS AU TRAVAIL IN: REVUE SOCIOLOGIE DU TRAVAIL, N°3, 1978, PP312-314.

5- ROUSSELET (J): L ALGERIE AU TRAVAIL, ED LE SEUIL, PARIS, FRANCE, 1974, P21.

6- CHAMBART DE LAUWE (P.H) ET AUTRES: TRANSFORMATION DE L'ENVIRONNEMENT DES ASPIRATIONS ET DES VALEURS. LES EDITIONS DU C.N.R.S, 1989, P168.

7- GUERIN (C): CHEMIN DE LA DESIERTION IN LES CAHIERS DE L'ANIMATION N°48, 1984, P23.

8- AUMONT (M): JEUNES DANS UN MONDE NOUVEAU ED DU CENTURION, PARIS, (FRANCE) , 1973, PP95-96-97.

9- MERIE (V): DESENCHANTEMENT PLUS QU'ALLERGIE IN REVUE AUTREMENT, N°21, 1988, PP19-24.